

الدرس الثالث: حصة واحدة

قراءة نصوص عربية (اختيار نصوص غير مشكولة)

نموذج من مقامات بديع الزمان الهمداني

المقامة البغدادية

حدثنا عيسى بن هشام قال: اشتبهت الأزاد وأنا ببغداد، وليس معي عقد على نقد، فخرجت أتهز محاله حتى أحلني الكرخ، فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره، ويطرف بالعقد لإزاره، فقلت: ظفرنا والله بصيد، وحياك الله أبا زيد، من أين أقبلت، وأين نزلت، ومتى وافيت، وهلم إلى البيت؟ فقال السوادي: لست بأبي زيد، ولكني أبو عبيد، فقلت: نعم، لعن الله الشيطان، وأبعد النسيان، أنسانيك طول العهد واتصال البعد، فكيف حال أهلك؟ أشاب كهدي أم شاب بهدي؟ فقال: قد نبت الربيع على دمنته، وأرجو أن يصيره الله إلى جنته، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومددت يد البدار إلى الصدر أريد تمزيقه، فقبض السوادي على خصري بجمعه، وقال: نشدتك الله لا مزقته، فقلت: هلم إلى البيت نصب غداء، أو إلى السوق نشتر شواء، والسوق أقرب وطعامه أطيب، فاستمذته حمة القرم، وعطفته عاطفة اللقم، وطمع ولم يعلم أنه وقع، ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقا، وتتسائل جواذباته مرقا، فقلت: افرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلوى، واختراه من تلك الأطباق، واضد عليها أوراق الرقاق، ورش عليه شيئا من ماء السماق ليأكله أبو زيد هنيئا، فانخى الشواء بساطوره على زبدة تنوره، فجعلها كالكلح سحقا وكالطحن دقا، ثم جلس وجلست، ولا يئس ولا يئست، حتى استوفينا، وقلت لصاحب الحلوى: زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين، فهو أجرى في الخلق وأمضى في العروق، وليكن ليلى العمر يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤي الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ ليأكله أبو زيد هنيئا، قال: فوزنه ثم قعد وقعدت، ووجدت وجلست حتى استوفينا، ثم قلت: يا أبا زيد ما أحوجا إلى ماء يشعشع بالثلج، ليقمع هذه الصارة ويفثأ هذه اللقم الحارة، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقاء يأتيك بشربة ماء، ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع، فلما أبطأت عليه قام السوادي إلى حماره، فاعتلق الشواء بإزاره، وقال: أين ثمن ما أكلت؟ فقال أبو زيد: أكلته ضيفا، فلكمه لكمة وثني عليه بلطمة، ثم قال الشواء: هاك، ومتى دعوناك؟ زن يا أبا القحة عشرين، فجعل السوادي يبكي ويحل عقده بأسنانه ويقول: كم قلت لذاك القريد، أنا أبو عبيد وهو يقول: أنت أبو زيد، فأنشدت:

أعمل لرزقك كل آلة لا تقعدن بكل حالة
وانهض بكل عظيمة فالمرء يعجز لا محالة

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ، وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَيْسَ مَعِيَ عَقْدٌ عَلَى تَمْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهْرُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحْلِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ، وَيَطْرُقُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: طَلَفْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمُّ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ، أُنْسَانِيكَ طُولَ الْعَهْدِ، وَانْصَالَ الْبُعْدِ، فَكَيْفَ حَالَ أَبِيكَ؟ أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتِ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِيهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِيهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ، إِلَى الصَّدَارِ، أُرِيدُ تَمْرِيهَهُ، فَتَبَّضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُوعِهِ، وَقَالَ: نَسَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَرْقَتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمُّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ عَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزْتُهُ حُمَّةَ الْقَرَمِ، وَعَطَفْتُهُ عَاطِفَةَ اللَّقْمِ، وَطَمَعُ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شِوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاءُهُ عَرَقًا، وَتَسَايِلُ جُودَابَاتُهُ مَرَقًا، فَقُلْتُ: افِرْزْ لَأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ، وَاحْتَرِلْهُ مِنْ تِلْكَ الْأَطْبَاقِ، وَانْخِذْ عَلَيَّ أَوْزَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشِّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ السَّمَاقِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا، فَأَنْخِيَ الشِّوَاءَ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُورِهِ، فَجَعَلَهَا كَالْكُحْلِ سَحْفًا، وَكَالطَّخَنِ دَقًا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، وَلَا يَيْسُ وَلَا يَيْسْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتَنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الْحَلْوَى: زِنْ لَأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِيْنِجِ رَطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرِي فِي الْخُلُوقِ، وَأَنْصُ فِي الْعُرُوقِ، وَلِيَكُنْ لِيَلِيَّ الْعُمْرِ، يَوْمِي النَّشْرِ، رَقِيقَ الْقَشْرِ، كَثِيفَ الْحَشْوِ، لَوْلَوِيَّ الدَّهْنِ، كَوَكْبِي اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّنْغِ، قَبْلَ الْمَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَدْتُ وَجَرَدْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتَنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَخَوْجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشْعِشِعُ بِاللُّجِ، لِيَسْمَعَ هَذِهِ الصَّارَةَ، وَيَهْتَأُ هَذِهِ اللَّقْمَ الْحَارَةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرِبَةِ مَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشِّوَاءَ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ تَمُنُّ مَا أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ صَبْنًا، فَلَا كَمَّةَ لَكُمَّةَ، وَبَنِي عَلَيْهِ بِالطَّمَةِ، ثُمَّ قَالَ الشِّوَاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعُونََاكَ؟ زِنْ يَا أَحَا الْفِحَّةَ عَشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَجَلُّ عَقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ إِذَاكَ الْقُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

اعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلِهِ *** لَا تَعُدَّنْ بِكُلِّ حَالِهِ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ *** فَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مَحَالَهُ

شرح المفردات:

- اشتهيت: رغبت بشدة وأحببت / الأزاد: نوع فاخر من التمر / عقد: صرة المال (الكيس الذي يربط فيه المال) / يطرف بالعدد إزاره: يظهر طرف كيس المال من ثوبه / نبت الربيع على دمنته: كناية عن موته ومرور الزمن عليه / مددت يد البدار إلى الصدر: أسرع لوضع يدي على صدري (تمثيل للحزن) / جموعه: أي كلّه / بكامل يده أو قوته / استفزته حمة القرم: أثارتته شدة الشهوة للطعام / عاطفة اللقم: الميل إلى الأكل / تتسائل جوداباته مرقا: تسيل عصاراته (مرقه) / أنخي بساطوره: ضرب بسكينه بقوة / زبدة تنوره: أجود ما في الفرن / اللوزينج: نوع من الحلوى باللوز / يجمع الصارة: يخفف حرارة العطش / اعتلق بإزاره: أمسك بثوبه / يا أحَا الفِحَّة: يا قليل الحياء / يحل عقده بأسنانه: يفك كيس ماله بأسنان /

